الدرس السادس

بسم الله الرحمـن الرحيم

الحمـد لله رب العـالمين ، والصـلاة والسـلام علـى عبـد الله ورسـوله نبينـا محمـد وعلـى آلـه وصحبه أجمعين أما بعد :

قال رحمه الله تعالى :

[فكان حائز قصب سبقهم أبو بكر ؛ عبد الله بن عثمان التيمي ﷺ وآزره في دين الله ، ودعا معه إلى الله على بصيرة ، فاستجاب لأبي بكرٍ عثمانُ بن عفان ، وطلحة ، وسعد بن أبي وقاص . وأما علي فأسلم صغيراً ابن ثماني سنين ، وقيل : أكثر من ذلك ، فقيل : إنه أسلم قبل إسلام أبي بكر ، وقيل : لا ، وعلى كل حال فإسلامه ليس كإسلام الصديق ، لأنه كان في كفالة رسول الله ﷺ أخذه من عمه إعانة له على سنة محْلٍ . وكذلك أسلمت خديجة ، وزيد بن حارثة . وأسلم القس ورقة بن نوفل وصدّق بما وجد من وحي الله ، وتمنى أن لو كان جذعاً ، وذلك أول ما نزل الوحي ، وقد روى الترمذي "أن رسول الله ﷺ رآه في المنام في هيئة حسنة ، وجاء في حديث أن رسول الله ﷺ قال : "رأيت القس عليه ثياب بيض" ، وفي الصحيحين أنه قال : "هذا الناموس الذي جاء موسى بن عمران " لما ذهبت خديجة به إليه ، فقص عليه رسول الله ﷺ ما رأى من أمر جبريل عليه السلام . ودخل في الإسلام من شرح الله صدره للإسلام على نور وبصيرة ومعاينة فأخذهم سفهاء أهل مكة بالأذى والعقوبة ، وصان الله رسوله ﷺ وحماه بعمه أبي طالب ، لأنه كان شريفاً مطاعاً فيهم نبيلاً بينهم ، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر محمد ﷺ لما يعلمون من محبته له ، وكان من حكمة الله بقاؤه على دينهم لما في ذلك من المصلحة ، هذا ورسول الله ﷺ يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً لا يصده عن ذلك صاد ولا يرده عنه راد ، ولا يأخذه في الله لومة لائم].

****

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعض السابقين للإسلام فقال : ((**فكان حائز قصب سبْقهم**)) أي إلى الإسلام والاستجابة لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ((**أبو بكر ؛ عبد الله بن عثمان التيمي** ﷺ)) فهو ﷺ أول من أسلم من الرجال .

((**وآزره في دين الله ، ودعا معه إلى الله على بصيرة**)) ؛ فأبو بكر ﷺ شرح الله ﷻ صدره لهذا الدين وقبوله واعتناقه والدخول فيه ومن ثم الدعوة إليه ؛ فدعا إلى الله ﷻ بهمَّة عالية . ومما أكرم الله ﷻ به صدّيق الأمة ﷺ : أن عدداً من السابقين للإسلام أسلموا على يديه ؛ ولاسيما مَن هم من خيار أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وممن أكرمهم الله ﷻ فيما بعد ببشارة النبي ﷺ لهم بجنات النعيم ، ولهذا قال :

((**فاستجاب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وطلحة ، وسعد بن أبي وقاص**)) ؛ وأيضاً ذُكر أن الزبير ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف أبو عبيدة استجابوا له ، وكلهم من العشرة المبشرين بالجنة . وكان دخولهم في الدين على يد صدّيق الأمة ﷺ ؛ فكان داخلاً دخولاً أولياً في قول نبينا عليه الصلاة والسلام :((لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)) .

قال : ((**وأما علي فأسلم صغيراً ابن ثمانِ سنين**)) ؛ وهذه أيضاً سابقة عظيمة لعلي ﷺ في الدخول في هذا الدين ، ومن المعلوم أن الصغير الذي في هذا السن لا يتزحزح في الغالب عن عقيدة أبويه " وينشئ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه " ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث: ((فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)) . فأكرم الله ﷻ علياً ﷺ بالدخول في الدين وهو صغير السن ، فكان أول من أسلم من الصبيان .

قال: ((**فأسلم صغيراً ابن ثمانِ سنين ، وقيل أكثر من ذلك ، فقيل : إنه أسلم قبل أبي بكر ، وقيل : لا**)) يعني اختلف في من هو أول من أسلم ؟ ذُكر الخلاف بين أهل العلم في ذلك في كتب السير والأخبار ؛ قيل: أن أول من أسلم خديجة ، وقيل: أن أول من أسلم أبو بكر ، وقيل: أن أول من أسلم علي ، وقيل: أول من أسلم زيد بن حارثة ، وقيل: أول من أسلم ورقة بن نوفل . لكن كما قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى وحكى على ذلك الاتفاق وهو الأورع أيضاً في هذا الباب أن يقال: " وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ الْبَالِغِينَ أَبُو بَكْر ، وَمِنْ الْأَحْرَارِ الصِّبْيَانِ عَلِيٌّ ، وَمِنْ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَمِنْ النِّسَاءِ

خَدِيجَةُ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَهَذَا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ " . وذكر نحو هذا ابن الصلاح في كتابه « معرفة أنواع علوم الحديث » ؛ وزاد : " ومِنَ العبيدِ: بلالٌ " وفي قول جماعة من أهل العلم أن خديجة أول من أسلم إطلاقاً ؛ فهي أول من ناصر النبي عليه الصلاة والسلام ومر معنا كلامها الجميل في تثبيتها له صلوات الله وسلامه عليه .

وفي ألفية السيوطي رحمه الله تعالى في الحديث جمَع هؤلاء في بيتين قال :

أوَّل من أسلَم في الرجـــــال صدِّيقـــهم ، وزيد في الموالي

وفي النسا خديجةٌ ،وذي الصغر علي ، والرِّق بلال اشتهـر

وفي سير أعلام النبلاء ؛ في المجلد الأول منه في صفحة ١٤٤ عقد الذهبي فصلاً أو عنواناً عن السابقين في الإسلام وذكر على التوالي خمسين من الصحابة هم أول من أسلم ، ولما ذكرهم قال : " فهؤلاء الخمسون من السابقين الأولين "

قال ابن كثير رحمه الله : ((**وعلى كل حال ، فإسلامه** – يعني علي– **ليس كإسلام الصديق ، لأنه كان في كفالة رسول الله ﷺ أخذه من عمه إعانة له على سنة محل**)) ؛ أي سنة قحط وشدة ؛ فكان دائماً مع النبي عليه الصلاة والسلام مرافقاً له ، يقوم النبي عليه الصلاة والسلام على كفالته .

قال ((**وكذلك أسلمت خديجة ، وزيد بن حارثة**)) ؛ وهم أول من أسلم على التفصيل الذي مر معنا إيضاحه وذكره .

قال : ((**وأسلم القس ورقة بن نوفل**)) ؛ ورقة ابن نوفل تجمعه قرابة بخديجة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ . فقس بن نوفل ابن عم خديجة ، وكان رجلاً قد تنصّر في الجاهلية وقرأ الإنجيل واطَّلع اطلاعاً واسعاً على ما في الإنجيل واعتنق النصرانية ، ولما جاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى خديجة وذكر لها ما حصل له في الغار وكان يرجف عليه الصلاة والسلام خوفاً فطمأنته وواسته وذكرت له محاسنة وقالت: والله لا يخزيك الله أنت كذا وأنت كذا وأنت كذا .. ثم أخذته إلى ورقة ابن نوفل ، وذكروا له ما حصل فقال ورقة: ((هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا)) ، فتمنى لو أدركه الإسلام وهو شاب طري صغير في أول شبابه حتى ينصر هذا الدين ، لأن هذا الكلام أدركه وهو كبير في السن وقد عمي .

ولهذا قال ابن كثير : ((**فصدق بما وجد من وحي الله ، وتمنى أن لو كان جذعاً ، وذلك أول ما نزل الوحي**)) ؛ ولهذا عُدَّ ﷺ في جملة أصحاب النبي الكريم ﷺ ؛ لأنه أدرك النبي عليه الصلاة والسلام وصدّق به وآمن بأنه رسول وأنه من عند الله وأن هذا هو الناموس الذي ينزل على موسى ، ولكنه كما قال ابن كثير رحمه الله وغيره من أهل العلم توفي بعد هذه القصة بقليل ولم يدرك التفاصيل التي جاءت في شريعة الإسلام . وقد ذكره الحافظ ابن حجر في القسم الأول من الإصابة وقال : " ذكَرَه الطبري والبغوي وابن قانع وابن السكن وغيرهم في الصحابة " .

ثم نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حديثاً في فضل ورقة بن نوفل ((**أن رسول الله ﷺ رآه في المنام في هيئة حسنة ، وجاء في حديث أن رسول الله ﷺ قال : رأيت القس** – أي ورقة ابن نوفل– **عليه ثياب بيض**)) ؛ وهذا رواه أحمد والترمذي وإسناده فيه كلام ضعّفه العلامة الألباني رحمه الله تعالى ، لكنه ثبت في المستدرك للحاكم ، وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ)) وهذا الحديث ثابت وفيه شهادة النبي عليه الصلاة والسلام لورقة بالجنة . وهو لم يدرك من الإسلام إلا أوله ؛ فحظه من الإسلام هو إيمانه بأن هذا الرسول حق وأنه مرسل من رب العالمين ، وأن الدين الذي جاء به حق ، وتمنى لو أنه أدرك هذا الإسلام شاباً طرياً لغرض نصرة هذا الدين ومؤازرة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((**وفي الصحيحين أنه قال : "هذا الناموس الذي جاء موسى بن عمران " لما ذهبت خديجة به إليه فقصَّ عليه رسول الله ﷺ ما رأى من أمر جبريل عليه السلام**)) ؛ لما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام قصة مجيء جبريل إليه في الغار وأنه غتَّه ثلاث مرات وأرسله ، ثم قوله له: اقرأ قال: ما أنا بقارئ ثلاث مرات ثم تلا عليه ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق... ﴾ الآيات ، قال ورقة بن نوفل ﷺ : ((هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى)) أي هذا الذي تنزّل عليك هو الذي كان يتنزل على موسى بالوحي من الله ﷻ رب العالمين .

وأيضاً جاء أنه قال : " لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ " ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ ؟)) قَالَ : " نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا)) .

قول ورقة بن نوفل ﷺ :" هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى " نظيره تماماً قول النجاشي في قصة هجرة الصحابة إلى الحبشة لما اشتد عليهم الأذى ، وأن المشركين أرسلوا إلى النجاشي بوفد كان عليهم عمرو بن العاص، وأرسلوا معه الهدايا والتحف إلى النجاشي بغرض مطالبته بإعادة هؤلاء إلى مكة – ففي القصة قال النجاشي لعمرو بن العاص : " أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ ؟!" فكلام النجاشي هذا مطابق ، قرأ النجاشي الإنجيل وورقة أيضاً قرأ الإنجيل وعرفوا أن هذا هو الذي بشّر به عيسى عليه السلام بالإنجيل وأدركوا أنه نبي حق مرسل من رب العالمين . ثم إن النجاشي نصح عمرو بن العاص أن لا يفوّت على نفسه الفرصة باعتناق هذا الدين ، فرجع عمرو بن العاص وقد بيَّت النية على أن يدخل في هذا الدين ، وبداية دخوله في الدين أن النجاشي نصحه بذلك ، ولعل القصة تأتي معنا لاحقا في موضعها إن شاء الله .

قال : ((**ودخل في الإسلام من شرح الله صدره للإسلام**)) ؛ هذا فيه أن الإسلام منَّة الله ﷻ على من يشاء ، وهو جل وعلا الذي يشرح صدر من شاء للإسلام ، ومن الناس من يعرف الإسلام ويعرف أنه حق وصدق ولكنه لا يفوز بهذا الشرح فلا يُقبِل ولا يَقبَل !! وقد مر معنا قول أبي طالب :

ولقد علمتُ بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

إذاً لماذا لا تسلم ؟ قال :

لولا الملامة أو حِذار مسبة لرأيتني سمحاً بذاك مبينا

فهو على معرفة وعلى علم بأنه دين حق وصدق منزل من رب العالمين ؛ لكن لم يُشرح صدره للإسلام ، ولما مات وحزن النبي عليه الصلاة والسلام على موته أنزل الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦] ؛ فالهداية منة الله ﷻ .

قال : ((**ودخل في الإسلام من شرح الله صدره للإسلام على نور وبصيرة ومعاينة ؛ فأخذهم سفهاء مكة بالأذى والعقوبة**)) تسلَّطوا على من بلَغَهم إسلامه بالأذى ، وكان من

يسلم في ذلك الوقت لا يعلن إسلامه ؛ وإنما يسلمون خفية ، وإذا أرادوا تعلُّم شيء أو سماع شيء من وحي الله ﷻ يتسللون إلى النبي عليه الصلاة والسلام تسللاً بحيث لا يراهم ولا يشعر بدخولهم أحد ، وكان كفار قريش من يعلمون عنه أنه أسلم يأخذونه ويعذبونه أشد العذاب صداً له عن دين الله ﷻ .

قال :((**وصان الله رسوله وحماه بعمه أبي طالب**)) ؛ لأن عمه مع بقائه على الكفر واستمراره على الشرك إلى أن مات إلا أنه وعد النبي عليه الصلاة والسلام أنه يبقى ناصراً له إلى أن يوسَّد دفيناً في القبر ، والتزم بوعده في مناصرته للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فنصره إلى آخر اللحظات .

قال ابن كثير : ((**وحماه** – أي الله – **بعمه أبي طالب ، لأنه كان** –أي عمه– **شريفاً مطاعاً فيهم ، نبيلاً بينهم ، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر محمد ﷺ لِما يعلمون من محبته له**)) .

قال ابن كثير : ((**وكان من حكمة الله بقاؤه** – أي أبو طالب– **على دينهم لما في ذلك من المصلحة**)) ؛ ولو أسلم لذهبت الهيبة وذهبت المكانة التي له في النفوس ولعُدَّ من جملة من يسمُّونهم بالصابئة ، ولكن من حكمة الله ﷻ أن بقي على غير الإسلام . يقول ابن كثير في البداية : " وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه ، ولَجَترؤا عليه ، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه، وربك يخلق ما يشاء ويختار" . ولكن من حكمة الله ﷻ أن بقي على غير الإسلام ولله ﷻ في خلقه الحكمة البالغة .

قال : ((**هذا ورسول الله يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً لا يصده عن ذلك صاد ولا يرده عنه راد ، ولا يأخذه في الله لومة لائم**)) ؛ مع ما ناله عليه الصلاة والسلام من أذى واستهزاء واعتداء من المشركين فلم يبالِ بذلك ،لم يصده عن الدعوة لدين الله صاد ولم يرده راد ولم تأخذه في ذلك لومة لائم صلوات الله وسلامه عليه .

قال رحمه الله :

[فصلٌ (عدوان المشركين على المستضعفين من المسلمين) : ولما اشتد أذى المشركين على من آمن وفتنوا منهم جماعة ؛ حتى إنهم كانوا يضربونهم ويلقونهم في الحر ، ويضعون الصخرة العظيمة على صدر أحدهم في شدة الحر ، حتى إن أحدهم إذا أُطلِق لا يستطيع أن يجلس من شدة الألم ، فيقولون لأحدهم: اللات إلهك من دون إلهك . فيقول مكرهاً : نعم ، وحتى إنَّ الجُعل ليمر فيقولون : وهذا إلهك من دون الله . فيقول: نعم ، ومرَّ الخبيث عدو الله أبو جهل عمرو بن هشام بسُمية أم عمار وهي تعذَّب وزوجها وابنها ، فطعنها بحربة في فرجها فقتلها رضي الله عنها وعن ابنها وزوجها . وكان الصديق إذا مرَّ بأحد من الموالي يُعذَّب يشتريه من مواليه ويعتقه ، منهم : بلال ، وأمه حمامة ، وعامر بن فهيرة ، وأم عبس ، وزنّيرة ، والنهدية ، وابنتها ، وجارية لبني عدي كان عمر يعذبها على الإسلام قبل أن يسلم ، حتى قال له أبوه أبو قحافة : يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أعتقت قوماً جُلداء يمنعونك . فقال له أبو بكر: إني أريد ما أريد . فيقال إنه نزلت فيه: { وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى } إلى آخر السورة].

****

قال : ((**فصل : عدوان المشركين على المستضعفين من المسلمين**)) ؛ وهذا العدوان من المشركين مبناه أن القوم في إفلاس تام من الحجة والبرهان !! وهذه دائماً حيلة وملجئ المفلس ؛ المفلس إذا أقيمت عليه الحجة بالبراهين الساطعات والدلائل الواضحات والحجج القاطعات ليس له إلا خياران : إما أن يقبل ، أو يرفض ؛ وإذا رفض ليس عنده ما يقابل به هذه الحجج ، ولهذا عادةً تقابَل مثل هذه البراهين بطريقتين معروفة من أعداء الدين وخصوم الدعوة من القِدَم وهي :

١- إما العقوبة ؛ إذا كان له سلطة وله قوة يتوعد بالعقوبة ، مثل ما قال فرعون: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩] .

٢- أو الاستهزاء ؛ إذا كان ليس له شيء من ذلك يستهزئ ويتهكم ويسخر .

فكان النبي عليه الصلاة والسلام معه الحجج الواضحات والبراهين الساطعات وهؤلاء ما عندهم ليس فيه أي برهان ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا

أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم:٢٣]. مثل هذا الكلام الواضح البيّن والحجج الساطعات التي لا محيص عنها ولا مفر ، لا يمكن أن تقابل إلا : إما بالقبول والتسليم ، أو بالمكابرة والعناد . وإذا كابر إما أن يعتدي ويظلم ويبغي ، أو أنه يتهكم ويسخر ويستهزئ . ولهذا تسلط المشركون على المستضعفين ، ولاحظ أن التسلط يكون على المستضعفين ! لكن من أسلم ممن له جاه ومكانة لا يتسلَّطون عليه ولا يجرؤون عليه ، لكن يجرؤون جرأة شديدة خاصة على الإماء ، وعلى العبيد ، وعلى الضعاف .

قال : ((**ولما اشتد أذى المشركين على من آمن وفتنوا منهم جماعة**)) ؛ هذا لون من ألوان الأذى التي كانت تحصل .

((**حتى إنهم كانوا يضربونهم ، ويلقونهم في الحر ، ويضعون الصخرة العظيمة على صدر أحدهم في شدة الحر**)) ؛ وهذا شدة على شدة ؛ يؤتى بالإنسان في الحر الشديد ويلقى على ظهره ، ويُزاد على ذلك يؤتى بصخرة حارة وتوضع على صدره ؛ فلهيب حرارة الأرض يشويه ويحرق بدنه من أسفل ، وصخرة حارة توضع على صدره تلهب صدره ! فهذا عذاب شديد ونكال شديد وأذى بالغ .

((**حتى إن أحدهم إذا أُطلق** – يعني بعد هذا الأذى الشديد – **لا يستطيع أن يجلس من شدة الألم**)) .

((**فيقولون لأحدهم** – بعد هذا التعذيب والنكال والأذى– **اللات إلهك من دون إلهك**)) يعني من دون الله.

((**فيقول مكرهاً : نعم**)) ؛ وقد قال الله ﷻ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[النحل:١٠٦]. فقوله: "نعم" في شدة الأذى بلسانه مع بقاء القلب مطمئناً على الإيمان هذا لا يكون كفراً ولا يخرج به من الدين وإن قال كلمة الكفر ! وإن قال: اللات إلهي ؛ لأنه مكره ، ولا يخرج من الدين بالإكراه قال الله ﷻ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ .

قال : ((**وحتى إن الجُعل ليمر فيقولون : وهذا إلهك من دون الله . فيقول: نعم**)) ؛ الجُعل: حشرة من أقبح الحشرات هي تشبه الخنفسانة ولونها أسود مثلها وهي أكبر منها

بقليل ، ومن طبعها أنها قذِرة تماماً ويضرب بها المثل بالقذارة ، وإذا كان الإنسان مسافراً في الليل يبقى هذا الجعل قريباً منه ينتظر متى يقوم يقضي حاجته ، فإذا قضى حاجته وذهب أخذ الجُعل القذر وجمّعه مثل الكرة الصغيرة ثم يمسكه بقرنين في مقدمته ويمشي ويدور أمامه ويتغذى منه ويستمتع برائحته ، حتى أن من عجيب أمره أنه إذا شم رائحة الطيب يموت ، ويستمتع غاية الاستمتاع بالقذر!! . فمن شدة التنكيل والأذى وشدة إقذاع هؤلاء المشركين – قاتلهم الله– يقولون للواحد من المسلمين إذا مروا بالجعل : " هذا إلهك من دون الله " فيقول على وجه الإكراه : نعم .

قال: ((**ومرَّ الخبيث عدو الله أبو جهل عمرو بن هشام بسمية أم عمار**)) ؛ وسمية رضي الله عنها وأرضاها هي أول شهيدٍ في الإسلام ؛ حتى ذكر أهل العلم أنها أول من استشهد في الإسلام مطلقاً من الرجال والنساء.

وهذا مما يبين مكانة المرأة ومنزلتها العلية في الإسلام ؛ فإنَّ أول من دخل في هذا الدين امرأة – فأول من أسلم مطلقاً في قول قوي لأهل العلم ذكره جماعة منهم : خديجة – ، وأول من استُشهد في سبيل الله ﷻ وقُدِّمتْ روحه في سبيل الله امرأة ؛ وهي سمية رضي الله عنها وأرضاها .

وكانت تعذَّب وتصبر على عذاب المشركين وأذاهم ، حتى مرَّ بها هذا الخبيث أبو جهل وهي تعذَّب وكان معها زوجها وابنها ، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يمر بهم ويقول : ((صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ)) فيصبّرهم عليه الصلاة والسلام .

((**فطعنها** هذا الخبيث **بحربة** – أي خنجر– **في فرجها فقتلها رضي الله عنها وعن ابنها وزوجها**)) وهذا في السنة الخامسة من البعثة .

قال : ((**وكان الصديق إذا مرَّ بأحد من الموالي يعذَّب يشتريه من مواليه ويعتقه**)) ؛ أبو بكر ﷺ كان تاجراً وذا مال ، فكان إذا مرَّ بأحد من الموالي يعذَّب من قبل مواليه يشتريه منهم ويعتقه.

واشترى عدد : ((**منهم : بلال ، وأمه حمامة ، وعامر بن فهيرة ، وأم عبس ، وزنيرة ، والنهدية ، وابنتها**)) كل هؤلاء ممن عُرفت أسماؤهم اشتراهم وأعتقهم ، ومن بينهم : ((**جارية لبني عدي كان عمر** – بن الخطاب ﷺ– **يعذبها على الإسلام قبل أن يُسلم**)) .

وهنا أيضاً نلاحظ فائدة نبَّه عليها أهل العلم : عمر تأخر إسلامه ، وبعض المبشرين بالجنة كعبد الرحمن بن عوف وعثمان ابن عفان وطلحة الزبير كان إسلامهم قبل إسلام عمر ﷺ بوقت ، ولكن عمر ﷺ مع تأخر إسلامه إلا أنَّ مكانته وفضيلته في الصحابة تلي مباشرة فضيلة أبي بكر وفضله سبق هؤلاء و﴿ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢٩]، فهو في الفضل مقدَّم لأن النصوص الشرعية جاءت دالة على ذلك . بل إنه هو وأبو بكر ليسو فقط أفضل أمة محمد عليه الصلاة والسلام بل هم أفضل الناس مطلقاً في جميع الأمم بعد الأنبياء، وهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ)) فهذا دليل صحيحٌ صريح في أن فضل أبي بكر وعمر يلي في الرتبة الأنبياء من ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ [النساء:٦٩] . فعمر ﷺ مع تأخر إسلامه على عثمان ، على علي ، على الزبير ، على طلحة ، على عبد الرحمن بن عوف لكنه أفضل منهم ، حتى إنه صح عن علي ﷺ أنه قال: " لا أجد أحداً يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري " : أي أن هذا افتراء وكذب وقول باطل . وجاء عن ابن عمر ﷺ أنه قال : "كان الناس يفضلون في زمن النبي ﷺ ويقرّهم على ذلك يقولون : أفضل الناس أبو بكر ثم عمر " . والدلائل والشواهد على تفضيلهما على سائر الصحابة كثيرة .

قال : ((**حتى قال له أبوه أبو قحافة : يا بني ، أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أعتقت قوماً جلداء يمنعونك**)) والد أبو بكر الصديق ﷺ وجده يشتري هذه الرقاب الضعيفة ويعتقها ؛ فكان ينصحه – نصيحة من والد لولده– يقول : إذا تريد أن تعتق أعتق أناس عندهم قوة وجلَد حتى يكونون لك منعة ؛ فكان أبو بكر ﷺ يقول : ((**إني أريد ما أريد**)) يعني أعرف ماذا أفعل ، وعلى علم بماذا أفعل .

ووالد صديق الأمة تأخر إسلامه إلى فتح مكة ، وفي هذه المرحلة الطويلة كلها بقي على الكفر ، ولما فُتحت مكة ذهب أبو بكر ﷺ وجاء بوالده إلى النبي عليه الصلاة والسلام ولحيته ورأسه كأنه ثغامة من البياض ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ)) هذا الكلام الرقيق المتواضع اللين مؤثر جداً ويفتح القلب ؛

يقوله عليه الصلاة والسلام وهو الذي دخل الآن لمكة فاتحاً . ثم إنه عليه الصلاة والسلام أَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَسْلِمْ فَأَسْلَمَ .

ومن الأشياء التي حُفظت واختُصَّ به هذا البيت المبارك بيت أبي بكر الصديق ﷺ : أنه أربع على التوالي متناسِلِين من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام والده ، وهو ، وابنه ، وحفيده ﷺ ؛ كلهم كانوا على الإسلام .

قال : ((**فيقال إنه نزلت فيه** ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ أي النار ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل:١٧-١٨] **إلى آخر السورة**)) ينفق من ماله طلباً للتزكية ، والنفقة في سبيل الله تزكية للنفس ، وسميت الزكاة زكاةً لما فيها من التزكية والتطهير ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة:١٠٣] ؛ فهذه زكاة للإنسان وطهارة له ، فيقال : إن هذه الآية نزلت في صديق الأمة ﷺ .

قال ابن كثير رحمه الله في كتابه العظيم المبارك النافع الماتع " تفسير القرآن العظيم " عند تفسيره لهذه الآية : " وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك ، ولاشك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها ؛ فإن لفظها لفظ العموم وهو قوله تعالى : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩)﴾ ، ولكنه مقدَّم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ؛ فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله " انتهى كلام ابن كثير رحمه الله نقلاً من كتابه التفسير .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .